بنات الثمانين

لعلنا هيأنا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومحله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورعا قدمنا متاخرا لسبب كمعاجلة الناس الى بيان موضوعه ورعا أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولن نفي على سؤاله شهرا او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يخفى

﴿ اسئلة من البحرين ﴾

(ص ٥٤ ـ ٥٩) من صاحب الامضاء

الحمد لله وحده

حضرة محترم المقام حجة الاسلام وامام المسلمين السيد محمد رشيد رضا رضي الله عنه وارضاه

سلام واحترام: يرد بجهتنا المنار ونطلع عليه فنرى فيه من آيات الارشاد لسبل الرشاد، والافصاح عن طرق الفلاح، مايشهد بفضله وفضل صاحبه اطال الله بقاءه في سلامة وعافية، ولازالت آثاره في مناره ماثلة للمسترشدين والمعتبرين، سيدي ارجوكم الاجابة عما يأتي بأوجز مايمكن وارساله ضمن جواب ان لم ترغبوا درجه في المنار

(١) المعراج كيف كان

(٢) انقضاض الكواكب وعلته الطبيعية والتوفيق بين ذلك وبين ماورد في سورة قل أوحي وسورة والصافات

(٣) أوحي على النبي (ص) معنى القرآن فقط والنبي (ص) هو أعرب عن ذلك المعنى بهذه الالفاظ وركبها هذا التركيب أم أوحي اليه المعنى واللفظ جميعا

(٤) هل يصح حديث انزل القرآن على سبعة احرف وما معناه

(٥) هل من الممكن انشاء مؤتمر اسلامي يعود على الاسلام بفائدة في القريب العاجل وماذا ينبغي ان يكون

(٦) ألا تستحسنون أن تقوم جماعة الدعوة والارشاد أول مرة لفتح ناد بمكة تسميه نادي التعارف

واقبلوا سلام واحترام الداعي المخلص المنار وصاحبه محمد صالح يوسف المغربي

الجواب عن السؤال الاول : كيف كان المعراج

لانعرف كيف كان المعراج ولا نقطع فيه بشيء فانه خصوصية أكرم الله تعالى بها نبيه (ص) فأراه من آياته في عالم الغيب والشهادة ما لم ير غيره من البشر ، فان في رواياته انه صلى الله عليه وسلم رأى موسى يصلي في قبره بالكثيب الاحمر ورآه في السماء السادسة ، وفيها انه رأى في السماء آدم ونسم بنيه عن يمينه وشماله ، وصلى بالانبياء اماما ببيت المقدس ورآهم في السماء ، ورأى العصاة يعذبون في صور غير صورهم التي كانوا عليها في الدنيا ، ولم يقل أحد من المسلمين ان موسى او آدم رفع بجسده الى السماء ، فما قولك بنسم بني آدم كلهم ، ولا ان العصاة يعذبون بأجسادهم قبل يوم القيامة . وظاهر هذا ان تلك المرائي روحانية كما قال بعضهم أو مثالية كما قال آخرون ، وذكرنا الفرق بينهما في الجزء الماضي ، ومنه ماورد في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم تمثل له بيت المقدس وهو بمكة فوصفه لمن سأله عنه من المنكرين .

وقد أورد على ما نشرناه في الجزء الماضي اشكالان وسئلنا عن حلهما كتابة ومشافهة (أحدهما) وهو قديم لو كان الاسراء والمعراج في المنام أو بالروح فقط لما أنكره أهل مكة ولما كان ذكرهما فتنة للناس . على اننا قد ذكرنا في جواب (س ٤٧) حل هذا الاشكال بالايجاز ، واما بيانه بالتفصيل فهو ان الفتنة هي الاختبار الذي يميز به الايمان اليقيني من عدمه ، فالمؤمن الموقن يصدق النبي (ص) في كل مايخبر به وان كان من الامور المخالفة للعادات والمألوفات فاذا قال رأيت كذا وكذا مما هو ممكن عقلا ممتنع عادة ولم يبين له انه ذلك في اليقظة أو في المنام يتحقق الاختبار وتظهر درجة ايمانه ويكون النبي صادقا في قوله انه رأى ذلك لان فعل الرؤية البصرية والرؤيا المنامية واحد فيقال في كل منهما رأيت والادراك انما هو للروح ، والجسد آلة لا يتقيد بها الاضعفاء الاوالح . ومن ذلك احاديث فتاني القبر فقد ورد أنهما يبهمان السؤال فيقولان للميت : ماتقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وادعى انه رسول الله . وقد قال تعالى (١٧ : ٦٠ - وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) ووردت الروايات الصحيحة في ان هذه الاية نزلت في شأن ماراه النبي (ص) في ليلة الاسراء والمعراج . ولفظ

« الرؤيا » حقيقة فيما يرى في المنام ولذلك اضطر الى تأويل الآية من جزموا بأن الاسراء والمعراج كانا في اليقظة كما اضطروا الى تأويل رواية شريك في صحيح البخاري الدالة على أنهما كانا في المنام أو الى القول بالتعدد وبعضهم قال انها غلط . وجملة القول ان آية الاسراء التي أوردناها آنفا وحديث شريك في البخاري يدلان على أن الرؤيا المنامية هي التي كانت فتنة للناس . نعم ان الجمهور قد اولوا الآية وقالوا في الحديث ماعلمت ، واما اذا قلنا ان المعراج روحي ، وانه كان بالصفة التي يعبر عنها الصوفية بالانسلاخ كما يأتي قريبا فلا وجه لاستغراب الافتتان بخبره مع التصريح بالانسلاخ والتجرد ، وان لم يصرح به حمله الناس على انه بالروح والجسد وافتتنوا به . على ان افتتان بعض الناس واعتراضهم انما ورد في شأن الاسراء فقط ولذلك قال بعضهم ان الاسراء هو الذي كان بالجسد والروح فقط دون المعراج واختاره المازري في شرح مسلم

(الاشكال الثاني) أورده عالم مشهور من القضاة في هذه الديار قال: ان الاسراء أو المعراج الروحي لايعد من الخوارق لان بعض الهنود الوثنيين يميتون أجسادهم موتا مؤقتا وتطوف أرواحهم في الارض طائفة من الزمن ثم تعود فتتصل ببدنها فيخبر صاحبها بما رأت في تلك السياحة الروحية، وقد كان الانكليز يسمعون مثل هذا عن الهنود ولا يصدقونه حتى اختبروه بأنفسهم فأتاهم هندي أو أمات نفسه أمام بعضهم ورأوا جسده جثة لاحراك بها ، وعلموا منه أن روحه تقصد بلدا معينا فلما عاد الى حياته المعتادة أخبر بأن روحه جاءت ذلك البلد ورأت فيه كذا وكذا . فاستخبر أولئك المختبرون بعض معارفهم في ذلك البلد عما وقع فيها في تلك المدة فوافق الجواب ماقاله الهندي.

والجواب عن هذا على تقدير صحة الرواية من وجوه (أحدها) أن الاسراء والمعراج ليسا من المعجزات التي تحدى بها النبي (ص) للاستدلال على نبوته لان الاستدلال انما يكون بما يدركه المنكرون بحواسهم ولا يشكون فيه (ثانيها) يكفي في تسمية الخارقة معجزة ان يعجز الناس عنها وان أتوا بشيء من نوعها ولا سيما اذا كان ماأتوا به دونها ، فابراء المريض من مرضه نوع واحد والفرق بين افراده عظيم فليس إبراء الارمد كابراء الاعمى ولا إبراء المزكوم كابراء المسلول، والروح التي تنسلخ من بدنها فتطوف في بقاع محدودة من الارض وترى بعض المحسوسات فيها فقط ، لايقاس عملها بعمل الروح التي تطوف ماشاء الله ان تطوف في الارض وترى فيها أرواح الانبياء والملائكة ثم تعرج الى السماء وترى ماترى من آيات الله الكبرى كالجنة والنار وتسمع وحي الله تعالى في الملأ الاعلى

(ثانيها) ان المتكلمين يقولون ان خوارق العادات تكون لغير الانبياء وتختلف أسماؤها باختلاف احوال من تكون لهم فتكون ارهاصا ومعجزة وكرامة للانبياء الاول قبل البعثة والثاني بعدها مع التحدي والثالث بدونه، وكرامة فقط للاولياء ومعونة لمن دونهم من الصالحين واستدراجا للفساق والكفار، وفي كلامهم هذا مجال للانظار

(رابعها) ان الخوارق التي ذكروا لها هذه الاقسام انما جنسها المنطقي هو الامر المخالف للمعتاد بين جماهير الناس بحسب الاسباب العامة المعروفة التي تنشأ عنها اعمالهم، ولا ينافي ذلك عند المتكلمين ان تصدر الخارقة عن كثيرين، ولذلك جوزوا ان تكون معجزة النبي كرامة لكثير من الاولياء وذكروا وقائع في ذلك منها إبراء المرضى واحياء الموتى والمكاشفات التي لا تحصى، وجوزوا ايضا ان تصدر الخارقة عن كل أحد وميزوا بينها بالاسماء التي سمعت. ومن الناس من يرد هذا ولا يقول به فقد قال الشيخ محي الدين بن العربي شيخ الصوفية الاكبر في عصره ان الخارقة لا تتعدد فان ما يتعدد لا يكون خارقا للعادة، وهذا هو المعقول لا من حيث تطبيقه على معنى الخارقة فقط بل يقال ايضا ان ما يتكرر لابد أن يكون له سبب معروف وطريقة توصل اليه كما توصل طريقة الصوفية سالكيها الى ما يذكرون من الكرامات التي صارت عادة تتكرر لاصحابها وان كانت مخالفة للعادات التي عليها غيرهم، فالكشف مثلا معتاد من صنف الاولياء وانما هو خارق للعادة عند جمهور الناس، وسببه الرياضات الروحية. ولاصحاب الرياضات البدنية أعمال معتادة بينهم خارقة للعادة عند غيرهم كالمشي على الحبال وتعلقهم بها من أرجلهم وإلقاء أنفسهم من الاماكن المرتفعة وما هو أغرب من هذا

هذا وان الانسلاخ الذي ذكر عند الهنود وطواف الارواح وحدها أو باجسام من الاثير تشبه الاجساد المركبة عناصر منقول عن صوفية المسلمين وللشيخ محي الدين بن عربي وقائع كثيرة فيه مذكورة في فتوحاته وفي غيرها ويذكرون لانفسهم معارج روحية، ويقول محي الدين ان النبي (ص) عرج به الى السماء ٣٠ مرة. والله اعلم

وانا نورد هنا ماقاله ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) في الاسراء والمعراج على طريقة الصوفية لتعرف المذاهب والآراء المشهورة فيهما كلها وهذا نصه:

«واسري به الى المسجد الاقصى ثم الى سدرة المنتهى والى ماشاء الله وكل ذلك لجسده صلى الله عليه وسلم في اليقظة ولكن ذلك في موطن هو برزخ بين المثال والشهادة جامع لاحكامهما فظهر على الجسد أحكام الروح وتمثل الروح والمعاني الروحية اجساد

ولذلك بان لكل واقعة من تلك الوقائع تعبير وقد ظهر لجبريل وموسى وغيرهما عليهما السلام نحو من تلك الوقائع وكذلك لأولياء الامة ليكون علو درجتهم عند الله كحالهم في الرؤيا والله أعلم

« أما شق الصدر وملؤه ايمانا فحقيقته غلبة أنوار الملكية وانطفاء لهب الطبيعة وخضوعها لما يفيض عليها من عالم القدس . وأما ركوبه على البراق فحقيقته استواء نفسه الناطقة على نفسه التي هي الكمال الحيواني فاستوى راكبا على البراق كما غلبت أحكام نفسه الناطقة على البهيمية وتسلطت عليها . وأما اسراؤه الى المسجد الاقصى فلأنه محل ظهور شعائر الله ومتعلق هم الملاء الأعلى ومطمح انظار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه كوة الى الملكوت . وأما ملاقاته مع الانبياء صلوات الله عليهم ومفاخرته معهم فحقيقتها اجتماعهم من حيث ارتباطهم بحظيرة القدس وظهور ما اختص به من بينهم من وجوه الكمال

« وأما رقيه الى السموات سماء بعد سماء فحقيقته الانسلاخ الى مستوى الرحمن منزلة بعد منزلة ومعرفة حال الملائكة الموكلة بها ومن لحق بهم من أفاضل البشر والتدبير الذي أوحاه الله فيها والاحتكام الذي يحصل في ملأها . وأما بكاء موسى فليس بحسد ولكنه مثال لفقده عموم الدعوة وبقاء كمال لم يحصله عما هو في وجهه . وأما سدرة المنتهى فشجرة الكون وترتب بعضها على بعض وانجماعها في تدبير واحد كانجماع الشجرة في الناذية والنامية ونحوهما ولم تمثل حيواناً لان التدبير الجملي الاجمالي الشبيه بالسياسة الكلي افراده وانما أشبه الاشياء به الشجرة دون الحيوان فان الحيوان فيه قوى تفصيلية والارادة فيه أصرح من سنن الطبيعة . وأما الانهار في أصلها فرعة فائضة في الملكوت حفو الشهادة وحياة وانماء فلذلك تبين هنالك بعض الامور النافعة في الشهادة كالنيل والفرات . وأما الانوار التي غشيتها فتدليات إلهية ، وتدبيرات رحمانية ، تجلت في الشهادة حينما استعدت لها . وأما البيت المعمور فحقيقته التجلي الالهي الذي يتوجه اليه سجدات البشر وتتمركز عليها تمثل بيتاً على حذو ما عندهم من الكعبة وبيت المقدس ، ثم أتي بإناء من لبن وإناء من خمر فاختار اللبن فقال جبريل هديت الفطرة ولو أخذت الخمر لغوت امتك فكان هو صلى الله عليه وسلم جامع أمته ومنشأ ظهورهم وكان اللبن اختيارهم الفطرة والخمر اختيارهم لذات الدنيا ، وأمر بخمس صلوات بلسان النجوز لانها خمسون باعتبار الثواب ، ثم أوضح الله مراده تدريجا ليعلم ان الحرج مدفوع وان النعمة كاملة وتمثل هذا المعنى مستندا الى موسى عليه السلام

فانه أكثر الانبياء معالجة للامة ومعرفة بسياستها » اه

(تنبيه) ذكرت في الجزء الماضي من المنار ان حديث المعراج مضطرب وضعيف بهذا الاضطراب المتن . وقلما يطلقون لفظ الاضطراب ويريدون به المتن

(الجواب عن الثاني — الشهب عدمها وكونها رجوما)

اختلف علماء الفلك في أصل الشهب (ويسمونها الشهاب) وقد ذكر الطبيب محمد توفيق الندي صدقي بعض آرائهم فيها في مقالته التي نشرت في الجزء الثامن . ومنهم من يقول ان بعضها من مقذوفات براكين الارض تخلق في الفضاء ثم تسقط، وهذا أبعد الآراء عن الصواب وأقربه منه ان تكون من براكين الكواكب . ومنهم من يقول ان اكثرها من قطع النجوم المتكسرة وبعضها ينفصل من الكواكب الثابتة . وكل ما قيل في ذلك من رجم الظنون ، لم يصل شيء منه الى مرتبة اليقين ، الا أن لبعضها مدارا يعرف بالحساب، وسبب سقوطها هو جذب الارض لها عند دنوها منها بدخولها في فلكها . وقد بينا من قبل أن السبب مهما كان لا ينافي ما يترتب على سقوطها من رجم الشياطين وتأديبهم بإدخيلولتها بينهم وبين الدنو من ملائكة السماء واستراقهم السمع منهم. وقد ثبت أن الشهب كانت كثيرة في مبدأ البعثة وهي تكثر كذلك كلما دنا مدارها الذي تكثر هي فيه من الارض فكان ذلك من توفيق أقدار لاقدار ، والله الموفق وكل شيء عنده بمقدار

(الجواب عن الثالث : نزول القرآن باللفظ والمعنى)

أسلوب القرآن غير أسلوب الحديث النبوي والفرق بينهما ظاهر لايخفى على قارىء من أهل هذه اللغة ولا سامع، والحديث القدسي وغير القدسي في ذلك سواء . فالقرآن معجز بأسلوبه ومعناه لايقدر النبي (ص) ولا من دونه من البشر على الاتيان بمثله. والذي نجزم به انه كان يلقى الى النبي (ص) بهذا الاسلوب والنظم فيلقيه (ص) الى الناس كما ألقاه اليه الملك حتى انه يذكر لفظ الامر الذي يخاطب هو به فيقول مثلا « قل هو الله أحد » وهو المخاطب بلفظ قل وكان الظاهر في الامتثال أن يقول ابتداء « الله أحد » ولكنه أمر أن يبلغ مايلقى اليه كما هو ، وان كان إلقاء الملك غير إلقاء البشر في كيفيته فهو مثله في حاصله ومايدرك منه ، وسنذكر ماورد في ذلك في وقت آخر

(الجواب عن الرابع : أنزل القرآن على سبعة أحرف)

الحديث رواه باللفظ الوارد في السؤال احمد والترمذي عن حذيفة وأشار

السيوطي في الجامع الصغير الى تحسينه فهو لا يصل الى درجة الصحيح ، وروي بلفظ آخر وزيادة « فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول الى غيره رغبة عنه » وهو عند الطبراني عن ابن مسعود ، ورواه عنه ايضا بزيادة أخرى وحسنوها . وروي على ثلاثة أحرف ، وعلى عشرة أحرف ، وكلاهما ضعيف . وقيل ان العدد ليس للتحديد والمعنى على أحرف متعددة

والمختار عندي في معنى الاحرف انها اللغات العربية المختلفة في الاداء التي يعبر عنها عند كتابتنا الآن باللهجات كالهمز وعدمه والامالة وعدمها والمد والقصر وصفة حرف الهجاء من ترقيق وتفخيم . فقد كان هذا مما تختلف فيه العرب حتى يعسر على من كانت الامالة لغة لهم أن يتركوها وهكذا غيرها من الحروف ، فأذن الله بأن يقرأ كل قوم بحرفهم الذي اعتادوه لان ذلك لا يغير شيئا من معنى القرآن ولا من جوهر لفظه بل هو يتعلق بأعراض الكلم دون جوهره ، ولا ينافي انه نزل بلغة قريش

(الجواب عن الخامس : المؤتمر الاسلامي)

يظهر لنا ان المسلمين لما يستعدوا كما يجب لعقد مؤتمر عام لاجل البحث في مصالحهم وما يرقي شؤونهم ، وقد ذكرهم بذلك العقلاء مرارا فلم يلقوا اليهم سمعا ، ولا أداروا نحوهم طرفا ، ولا أمالوا عطفاً ، والذي يسبق الى ذهن كل من يبحث في هذه المسألة أن المؤتمر يجب أن يكون في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، وهذا ما سبق الى التنبيه عليه السيد جمال الدين الافغاني وما كنا اقترحناه منذ اربع عشرة سنة ، ثم كونه الكواكبي اوسع تكون في كتابه سجل جمعية ام القرى . وكنا نعلم أن السلطان عبد الحميد ما كان ليرضى بعقد هذا المؤتمر في الحرمين وكذلك لا يرضى به زعماء جمعية الاتحاد والترقي الآن . وكان اسماعيل غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بنجه سراي (عاصمة بلاد القريم الروسية) اقترح عقد هذا المؤتمر بمصر من عدة سنين فأجاب دعوته فئة من المصريين وجعلوا للمؤتمر قانونا ونشروا الدعوة اليه في جميع الاقطار فلم يجب دعوتهم أحد . ومصر هي البلاد المتمتعة بالحرية التي يمكن ان يكون فيها المؤتمر متى تم الاستعداد له ، وتليها بلاد الهند . ونرجو ان تكون جماعة الدعوة والارشاد هي المعدة للمسلمين الى عقد مثل هذا المؤتمر بعد تأسيس شعبها في جميع الاقطار ، ويتوقف عقد المؤتمر ونجاحه على وثوق الحكومات التي

تسوس المسلمين بأنه لا عمل له الا لإحياء العلم والفضيلة ، والجمع بين الدين والمدنية الزهية ، وعدم الدخول في مآزق السياسة والتعرض لفتنها ، نعم ان من حكام المسلمين من لا يريدهم ترقي المسلمين بدينهم كما نريد ولكنهم لا يشتدون في مقاومة المؤتمر إذا كان هذا هو مرادنا منه وكنا بمعزل عن السياسة فيه

(الجواب عن السادس : انشاء ناد للتعارف بمكة)

انا نستحسن اقتراح الفاضل أشد الاستحسان ولكن انشاء الجماعة ناديا لها في مكة المكرمة أو في غيرها من البلاد يتوقف على إنشاء شعبة لها هناك تكون ضليعة بذلك فالاقتراح يعد الآن مبتسرا ، والبسر قد يصير رطبا فتمرا ، والرجاء في الله عز وجل ان نجد في خيار المسلمين من المساعدة على عملنا هذا ما يمهد لنا السبيل الى ما فيه الخير لنا وللبشر اجمعين

***

﴿ المندل وخواص القرآن ﴾

(س ٦٠) ورد من جاوه الى مكة المكرمة وأرسل الينا منها

ماقولكم دام فضلكم في علم المندل وخواص بعض الآيات القرآنية أو السور ومنها ماإذا قرأ على كف صبي دون البلوغ أو جعل وقفا وحمله الصبي بظهره له في كفه أو قدامه شخص أو أشخاص على صورة الانسان بحيث يراه الصبي دون غيره بعينه ويخاطبه ويسأله عما يريد فيخبره الشخص بمقتضى سؤاله ويأمره بأمر أراد فيه (كذا) وكذلك وجد في كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) للعلامة السيوطي وذكر فيه لرؤية السارق عبارته فيه « لرؤية السارق يكتب على بيضة دجاجة من أول سورة الملك الى حسير ثم تدهنها بالقطران وتعطيها لصبي ثم تقرأ سورة يس والصبي ينظر اليها فانه ينظر السارق فاعرف هذا السر وصنه عن غير أهله » فما الحكم على هذا شرعا هل يجوز استعماله أم لا وهل يكون من قبيل السحر أو الكهانة أو من خواص الآيات القرآنية أفتونا مأجورين يوم الدين لأن هذا شيء جرب واستعمل وصح في بعض الاحيان

(ج) خلق الانسان ضعيفا ، ومن آيات ضعفه انه يفتتن بكل مالا يعرف سببه ويسرع الى تصديقه قبل تمحيصه ، ولا سيما اذا لوّن بلون الدين أو جاء من ناحيته ، أو من قبل من يعدون من علمائه ،

قال علماء المنطق ان التجربة من طرق العلم اليقيني وان المجربات احدى اليقينيات الست ، ويعنون بذلك المجربات المطردة التي لا تختلف متى استوفيت شروطها ككون الخبز مغذيا والماء مرويا وبعض الاملاح والزيوت مسهلا ونرى جماهير الناس يجربون الشيء مرة أو مرتين تجربة ناقصة ويجعلون له حكم المجربات المطردة ويبنون به وبكل ما كان من جنسه قطعيا ، وهذا وذاك هما سبب شيوع الخرافات في الناس ، فمن فقه هذا لا يثق بكل ما قيل انه مجرب وصح سواء قاله المعاصرون بألسنتهم أو اليتون في كتبهم ، وان لم يكن أحد من الفريقين متهما بالكذب ، فقد ينظر صبي أو كبير في المندل أو في غير المندل كالرمل والحصا لاجل الاهتداء الى معرفة سارق أو غير سارق فيتراءى له شيء يذكره ، أو شبح يصفه ، ثم يظهر الواقع موافقا لذلك ولو من بعض الوجوه فيحفظه الناس لغرابته ، وأما اذا ظهر الواقع مخالفا لذلك وهو الاكثر فانهم ينسون ما قيل ولا يعدونه دليلا على كون التجربة لم تثبت صحة كون المندل أو الرمل طريقا لمعرفة بعض المغيبات

إن التجربة اذا صحت ظاهرا في بعض الجزئيات دون بعض يجب البحث عن سبب ذلك . وكان يجب ان يكون أول ما يخطر ببال العاقل ان قول صاحب المندل أو الرمل ان سارق كذا شاب طويل القامة واسع العينين طويل الذراعين ونحو ذلك قد يكون من التخيلات التي تتراءى عادة ، وان صدق الوصف جاء بالمصادفة والاتفاق ، لان من يقول شيئا من شأنه ان يقع منه فان الواقع يوافقه تارة ويخالفه تارة ولا مقتضي لمخالفته دائما ، وهذا الامر المعقول هو الواقع في مدعي معرفة بعض المغيب بالمندل والرمل وما اشبههما ، يصيبون مرة ويخطئون مرارا ، فتجربتهم لا تسفر عن اثبات صحة دعواهم لمن ينظر الى مجموع وقائعهم ولكن صغار العقول يكتفون بالجزئية الواحدة او الجزئيات القليلة ويعدونها قضايا كلية مطردة

ويقول بعض المتقدمين والمتأخرين ان تجربة المتقنين للمندل وما يشبهه صحيحة وان المتقن لا يكاد يخطىء الا اذا فقد بعض شروط العمل ، فاذا صح هذا القول يكون هذا الامر من الصناعات التي تعرف اسبابها وتتخذ لها عدتها ولا من الخوارق الحقيقية ، ولا من الخواص المجهولة ، وهذا هو الراجح . وينبغي حينئذ البحث عن تلك الاسباب ومعرفة حقيقة هذه الصناعة التي يقل المتقن لها حتى يؤمن غش الادعياء . وابن خلدون وغيره من الحكماء الذين أثبتوا ان لهذا اصلا صحيحا يقولون ان المدار فيه على استعداد الانفس البشرية لادراك بعض الامور الغائبة بالتوجه التام اليها ، وان

بعض النفوس أقوى استعدادا لذلك من بعض، والغلام أقوى استعدادا له من الكبير في مثل وسيلة المندل، والعصبي المزاج أقوى استعدادا له من غيره ولا سيما من اللمفاوي. وان ما ينظر فيه من الزيت أو الماء أو الكتابة أو البيضة أو الحصا ليس مقصودا لذاته ولا تأثير له في نفسه وانما المراد منه جمع الهمة واشغال النفس عن الخواطر بحصر توجهها في شيء محسوس واحد لتنتقل منه بعد حصر همها وتوجهها فيه الى ما تريد معرفته من ذلك الامر الغائب. وهذا تعليل معقول. وقد كان هذا الامر معروفا قبل الاسلام ويوجد الآن عند المسلمين وعند غيرهم. فاذا كان المسلمون يكتبون شيئاً من القرآن الكريم فغيرهم يكتب شيئاً آخر من كتبهم الدينية أو يكتب حروفاً مفردة لا معنى لها، والمقصد منها اشغال الحس، وتوجيه النفس، ومن هذا الباب ما يدركه بعض اصحاب الامراض العصبية من الامور الغائبة وهو يؤيد نظرية ابن خلدون وامثاله، واذا كان هذا صناعة يجوز شرعا لمن أتقنها أن ينتفع بها وينفع وانما المحرم الغش الذي يفعله الدجالون الذين لا يحصى عددهم، وهو الذي قد يعد من قبيل السحر لانه خداع وتلبيس

***

﴿ العمل بالسياسة والقوانين ﴾

(س ٦٩) جاء من أحد آل الشيبي في مكة المكرمة وقد ورد من جاوه

ما قولكم دام فضلكم في أحكام السياسة والقوانين التي أنشأها سلطان البلد أو نائبه وأمر وألزم حكام بلده وقضاته باجرائها وتنفيذها هل يجوز لهم اطاعته وامتثاله لاطلاق قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » الخ أم كيف الحكم أفتونا مأجورين لان هذا شيء قد عم البلدان والاقطار

(ج) اذا كانت تلك الاحكام والقوانين عادلة غير مخالفة لكتاب الله وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نعمل بها اذا وضعها أولو الامر منا وهم أهل الحل والعقد مع مراعاة قواعد المعادلة والترجيح والضرورات. وان كانت جائرة مخالفة لنصوص الكتاب والسنة التي لا خلاف فيها لم تجب الطاعة فيها للاجماع على انه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وهذا نص حديث رواه بهذا اللفظ احمد والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري وصححوه. ورواه الشيخان في صحيحيهما وابو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه بلفظ

« لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » ولا يشترط أن تكون هذه القوانين موافقة لاجتهاد الفقهاء فيما أصلوه أو فرعوه برأيهم لانهم صرحوا بأن الاجتهاد من الظن ولا يقوم دليل من الكتاب والسنة ولا من العقل والحكمة على انه يجب على الناس أن يتبعوا ظن عالم غير معصوم فلا يخرجوا عنه ولو لمصلحة تطلب ، أو مفسدة تجتنب ، ولا بغير هذا القيد . وكذلك يطاع السلطان فيما يضعه هو أو من يعهد اليه ممن يثق بهم من القوانين التي ليس فيها معصية للخالق وان لم يكونوا من أولي الامر الذين هم اهل الحل والعقد لاجل المصلحة لا عملا بالآية ، ولكن اذا اجتمع أهل الحل والعقد ووضعوا غير ما وضعه السلطان وجب على السلطان أن ينفذ ما وضعوه دون ماوضعه هو لانهم هم نواب الامة وهم الذين لهم حق انتخاب الخليفة ولا يكون اماما للمسلمين الا بمبايعتهم ، فان خالفهم وجب على الامة تأييدهم عليه لا تأييده عليهم . وبناء على هذه القاعدة التي لا خلاف فيها عند سلف الامة لانها مأخوذة من نصوص القرآن الحكيم قال الخليفة الاول في خطبته الاولى « وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني » وقال الخليفة الثاني على المنبر ايضا « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه » وله كلام آخر في تأييد هذه القاعدة . وقال الخليفة الثالث على المنبر ايضا « أصري لامركم تبع » وقال الخليفة الرابع في أول خطبة له وكانت بعدما علمنا من الاحداث والفتن « ولئن ردّ اليكم أمركم انكم لسعداء واخشى ان تكونوا في فترة » وهذا مأخوذ من قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » والفتنة التي قتل فيها عثمان لم تكن بالشورى بين أولي الامر بل كانت بدسائس هاجت الرعاع . وأرز (انكمش) فيها مثله وهو إمام أولي الامر وأعلمهم وأعدلهم الى كسر بيته . وما قاله بعض الفقهاء ، خدمة للمستبدين من الامراء ، من وجوب طاعتهم في كل شيء خوفا من الفتنة مخالف لنص الحديث الصحيح وللاجماع على مضمونه ، ولعمل الصدر الاول . وهو الذي كان السبب في إضاعة ملك المسلمين ، وترك العمل بشرع الله تعالى ورسوله (ص) فالخضوع للمستبدين الظالمين ، هو الذي مهد السبيل للخضوع للكافرين ، ولاجل هذا كان الحكام المستبدون يضطهدون العلماء المستقلين ، ويرفعون رتب المعممين المقلدين ، الذين كانوا أعوانهم في كل حين ، نعم ان مقاومة الامة لامراء الجور المتغلبين يجب ان يكون بالحكمة والتدبر واتقاء استشراء الفتن وانتشارها والعمل بقاعدة ارتكاب أخف الضررين

***

﴿ الفرق بين الزواج والزنا ﴾

(س ٦٢) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة الاستاذ الفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبعد نطلب من حضرتكم الاجابة على سؤالنا الآتي نشرا في مجلة (المنار) ولكم منا الشكر ومن الله الاجر !

رجل لا يرغب في الزنا ولا يمكنه ان يتزوج وليس في استطاعته ان يعصم نفسه عن النكاح فهل اذا اتفق مع بغيّ وتزوج بها في ليلته وعقدا عقدة النكاح بينهما بدون واسطة وحين يصبح يطلقها - أفهل هذا يعد زناء أم لا ؟

افيدونا على ذلك ولكم الثواب م . ع . الملواني

(ج) كيف لا يعد هذا زناء وهو يعلم علم اليقين انه يأتي زانية كانت البارحة كما تكون غد في حجر غيره وهو لم يستبرئ رحمها ولم يعقد عليها عقدا صحيحا والعقد الصحيح هو ما تعقد به رابطة الزوجية بقصد العيشة الزوجية واما اشتراط الشهود فيه وسنية إعلانه فليتميز عن السفاح الذي من شأنه ان يكون في الخفاء كالصورة التي تسأل عنها ، وانت موقن انك لا تقصد الزوجية بالكلمات التي سميتها عقدا وانما تقصد السفاح أي الاشتراك مع البغيّ في سفح ماء الشهوة . وابن انت من قوله تعالى « الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » فاعتبر بهذا واعلم يا أخي ان الفرق الحقيقي بين الحلال والحرام والخير والشر والحق والباطل لا يكون كلمة يلوكها اللسان بل الفرق أمر حقيقي يعبر عنه اللسان لاجل بيانه فلا تغش نفسك ، وتظن انك تخادع ربك ، واذا كنت تحب ان تبقى طاهرا نقيا من لتن الفاحشة فتوجه الى ربك ، وانتزع فكرة هذا التمتع من قلبك ، واشغل نفسك عنها بما يقوي إيمانك كالصيام وذكر الله تعالى بالتدبر والحضور الى ان يهيئ الله لك زوجا صالحة والسلام